الحمد لله الذی وفقنا لتالیف رسالتنا هذه التی الفت
لافحام المولوی رسل بابا الامرتسری وتبکیته وفصل فیه
کل امر لتسکیته وسمیت.

اتمام الحجة

على الذی لج وزاغ

عن المحجة

وطبعت فی مطبع گلزار محمدی فی بلدة لاهور سنة ۱۳۱۱ ھ

تعداد جلد ۷۰۰
قیمت فی جلد ۳ ر

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقيم حجته في كل زمان، ويجدّد ملّته في كل أوان، ويبعث مصلحا عند كل فساد، وينتاب الخَلْقَ منه هادٍ بعد هادٍ، ويمنّ على عباده بإراءة طرق سَداد، ويسوّي الصراط للمتأهّبين. يهدي الخَلق بكتابه إلى أسراره، ولا يُسمَح عقل بكشف أستاره، يُلقي الروح على من يشاء من عباده، ويفتح على من يشاء أبواب إرشاده، فلا يغشاه درنٌ ولا ينتطحه قرنٌ، ويُدخله في الطيبين. يدعو من يشاء، ويطرد من يشاء، ويُخيّب من يشاء، ويُعطي من يشاء من نعماء عظمى، ويجعل رسالاته حيث يشاء، ويعلم مَن بها أحقّ وأولى. الناس كلهم ضالّون إلا من هداه، وكلهم ميّتون إلا من أحياه، وكلهم عُميٌ إلا من أراه، وكلهم جياع إلا من غذّاه، وكلهم عِطاش إلا من سقاه، ومن لم يهده فلا يكون من المهتدين.

والصلاة والسلام على رسوله ومقبوله محمد خير الرسل وخاتم النبيين، الذي جاء بالنور المنير، ونجّى الخلق من الظلام المبير، وخلّص السالكين من اعتياص المسير، وهيّأ لهم زادًا غير اليسير، وآتى صُحفًا مُطهَّرة كشجرة طيّبة، اغتذى كل طالب بجَنى عُودها، ورغبت كل فطرة سليمة في استشارة سعودها، وما بقي إلا الذي كان شقيَّ الأزل ومن المحرومين.

والسلام على آله الطيبين الطاهرين، الذين أشرقت الأرض

بنورهم، وظهر الحق بظهورهم، ولا شك أنهم كانوا بُدورَ الإمامة، وجبال طرق الاستقامة، ولا يُعاديهم إلا من كان مورد اللعنة، وزائغا عن المحجّة، ورحِم الله رجلا جمَع حُبّهم مع حبّ الصُحْبة أجمعين. وعلى أصحابه وصفوة أحبابه الذين كانوا له أتبَعَ مِن ظلّه، وأطوَعَ من فعله. تركوا بروق الدنيا وزينتها برؤية لَعْلِه؛ ونهضوا إلى ما أُمروا بإذعان القلب وسعادة السيرة، وجاهدوا في الله على ضعف من المريرة، وما كانوا قاعدين. تبتّلوا إلى الله تبتيلا، وجمعوا خزائن الآخرة وما ملكوا من الدنيا فتيلا، وما مالوا إلى امتراء المِيرة، وبذلوا أنفسهم لإشاعة الملّة، وقَفَوا ظلالَ رسول الله ﷺ حتى صاروا من الفانين. شرَوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الرب اللطيف، ورضوا لمرضاته بمفارقة المألف والأليف، وأنحوا أبصارهم عن الدنيا وما فيها، وأخذتهم جذبةٌ عظمى فجُذبوا إلى الله ربّ العالمين.

أما بعد.. فاعلم أن أُخُوّة الإسلام يقتضي النصح وصدق الكلام، ومن أُعطيَ علمًا من علوم فأخفاه كسرٍّ مكتوم فهو أحد من الخائنين. وإن العلوم لا تنتهي دقائقها، ولا تُحصى حقائقها، ولا مانع لظهورها، ولا محاق لبدورها، وكم من علم تُرِك للآخرين. وقد علّمني ربّي من أسرار، وأخبرني من أخبار، وجعلني **مجدّد** هذه المائة، وخصّني في علومه بالبسطة والسعة، وجعلني لرسله من الوارثين. وكان من مفائح*

* *يبدو أنه سهو الناسخ ولعل الصحيح "منائح". (الناشر)*

تعليمه، وعطايا تفهيمه، أن المسيح عيسى بن مريم **قد مات بموته الطبعيّ وتُوفّي** كإخوانه من المرسلين. وبشّرني وقال إن **المسيح الموعود** الذي يرقبونه **والمهدي المسعود** الذي ينتظرونه **هو أنت**، نفعل ما نشاء فلا تكوننّ من الممترين. وقال: **إنّا جعلناك المسيح ابن مريم**، ففَضَّ خَتْمَ سِرِّهِ وجعلني على دقائق الأمر من المطّلعين. وتواترت هذه **الإلهامات**، وتتابعت **البشارات**، حتى صرتُ من المطمئنين. ثم تخيّرتُ طريق الحزامة، ورجعتُ إلى كتاب الله خفيرِ طرق السلامة، فوجدتُه عليه أوّلَ الشاهدين. وأيُّ بيان يكون وضح◈ من بيانه: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾؟ فانظُرْ، هداك الله قبلَ تَوَفّيك وجعَلك من المستبصرين. وأكّده الله بقوله: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾، ففَكِّرْ فيه يا من آذيتني، وحسبتني من الكافرين. وهذا نصّ لا يردّه قولُ مُبارٍ بآثار، ولا يجرحه سهمُ مُمارٍ في مضمار، ولا ينكره إلا من كان من الظالمين.

والذين غاض دَرُّ أفكارهم، وضعفت جوازل أنظارهم، لا ينظرون إلى كتاب الله وبيّناته، ويتيهون كرجل تبع جهلاته، ويتكلمون كمجانين. يقولون إن لفظ التوفّي ما وُضع لمعنى خاص بل عمّت معانيه، وما أُحكمتْ مبانيه، وكذلك يكيدون كالمفترين. وإذا قيل لهم إن هذا اللفظ ما جاء في القرآن كتاب الله الرحمن إلا **للإماتة وقبضِ الأرواح المرجوعة، لا لقبضِ الأجسام العنصرية**، فكيف تصرّون على

◈ *هذا سهو من الناسخ والصحيح "أوضح". (الناشر)*

معنى ما ثبت من كتاب الله وبيان خير المرسلين ﷺ؟ قالوا إنّا ألفَينا آباءنا على عقيدتنا ولسنا بتاركيها إلى أبد الآبدين.

ثم إذا قيل لهم إن خاتم النبيين وأصدق المفسرين فسّر هكذا لفظ التوفّي في تفسير هذه الآية؛ أعني: ﴿**تَوَفَّيْتَنِي**﴾، كما لا يخفى على أهل الدراية، وتبِعه ابن عباس ليقطع عرق الوسواس، وقال: **متوفِّيك: مميتُك**، فلِمَ تتركون المعنى الذي ثبت مِن **نبي** كان أوّل المعصومين، ومِن ابن عمّه الذي كان من الراشدين المهديين؟ قالوا: كيف نقبل ولم يعتقد بهذا آباؤنا الأوّلون؟ وما قالوا إلا ظلمًا وزورًا ومن الفِرْية ولم يحيطوا آراءَ سلفِ الأمّة إلا الذين قربوا منهم من المخطئين، وما تبعوا إلا الذين ضلّوا من قبل من فَيْجٍ أعوَجَ ومن قوم محجوبين. فما زالوا آخذين بآثارهم حتى حصحص الحق، فرجع بعضهم متندّمين. وأمّا الذين طبَع الله على قلوبهم فما كانوا أن يقبلوا الحق وما نفعهم وعظ الواعظين. والعلماءِ الراسخون يبكون عليهم ويجدونهم على شفا حفرة نائمين.

يا حسرة عليهم! لِمَ لا يفكّرون في أنفسهم أن لفظ **التوفّي** لفظٌ قد اتضح معناه من سلسلة شواهد القرآن، ثم من تفسير نبيّ الإنس ونبيّ الجانّ، ثم مِن تفسير صحابيّ جليل الشان، ومَن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان، فأي حجة أوضحُ من هذا إن كانوا مؤمنين؟ ولو جاز صرفُ ألفاظ تحكُّمًا من المعاني المرادة المتواترة، لارتفع الأمان عن اللغة والشرع بالكلية، وفسدت العقائد كلها، ونزلت

آفات على الملّة والدين. وكل ما وقع في كلام العرب من ألفاظ وجب علينا أن لا ننحت معانيها من عند أنفسنا، ولا نقدِّم الأقلّ على الأكثر إلا عند قرينة يوجب* تقديمه عند أهل المعرفة، وكذلك كانت سُنن المجتهدين.

ولما تفرقت الأمّة على ثلاث وسبعين فِرقة من الملّة، وكلٌّ زعم أنه من أهل السنّة، فأيُّ مخرج من هذه الاختلافات، وأي طريق الخلاص من الآفات من غير أن نعتصم بحبل الله المتين؟ فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقان، ومن تبِعه فقد نجا من طرق الخسران. ففكِّروا الآن.. **إن القرآن يتوفَّى المسيح** ويكمل فيه البيان، وما خالفه حديثٌ في هذا المعنى بل فسّره وزاد العرفان، وتقرأ في **البخاري والعيني وفضل الباري** أن **التوفّي** هو **الإماتة**، كما شهد ابنُ عبّاس بتوضيح البيان، وسيّدُنا الذي إمام الإنس ونبيّ الجانّ، فأيّ أمرٍ بقي بعده يا معشر الإخوان وطوائف المسلمين؟

وقد أقرّ المسيح في القرآن أن فساد أمّته ما كان إلا بعد موته، فإن كان عيسى لم يمت إلى الآن، فلزمك أن تقول إن النصارى ما أفسدوا مذهبهم إلى هذا الزمان. والذين نحتوا معنى آخر **للتوفّي** فهو بعيد عن التشفّي، وإن هو إلا من أهوائهم، وفساد آرائهم، ما أنزل الله به من سلطان، كما لا يخفى على أهل الخبرة وقلبٍ يقظان. وإن لم ينتهوا

---

* *يبدو أنه سهو الناسخ والصحيح "توجب". (الناشر)*

حقدًا، وأصرّوا على الكذب عمدًا، فليُخرجوا لنا على معناهم سندًا، وليأتوا من الله ورسوله بشرح مستند إن كانوا صادقين. وقد عرفتم أن رسول الله ﷺ ما تكلَّمَ بلفظ **التوفّي** إلا في معنى الإماتة، وكان أعمقَ الناس علما وأوّلَ المبصرين. وما جاء في القرآن إلا لهذا المعنى، فلا تحرّفوا كلمات الله بخيال أدنى، ولا تقولوا لما تصِف ألسنتُكم الكذبَ ذلك حق وهذا باطل، واتقوا الله إن كنتم متقين.

لِمَ تتبعون غلطًا ورجمًا بالغيب، ولا تبغون تفسير مَن هو منزه من العيب، وكان سيّدَ المعصومين؟ فاجتنبوا مثل هذه التعصّبات، واذكروا الموت يا دُودَ الممات، أتُتركون في الدنيا فرحين؟ فاذكروا يومًا يتوفّاكم الله ثم تُرجعون إليه فُرادى فُرادى، ولا ينصركم مَن خالف الحق وعادى، وتُسألون كالمجرمين.

وأمّا قول بعض الناس من الحمقى أن الإجماع قد انعقد على رفع عيسى إلى السماوات العُلى بحياته الجسماني◈ لا بحياته الروحاني◈، **فاعلم** أن هذا القول فاسد ومتاع كاسد، لا يشتريه إلا من كان من الجاهلين. **فإن المراد من الإجماع إجماع الصحابة، وهو ليس بثابت في هذه العقيدة،** وقد قال ابن عباس: **متوفيك: مميتُك**، فالموت ثابت وإن لم يقبل عفريتُك. وقد سمعتَ يا من آذيتني أن آية: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ تدل بدلالة قطعية وعبارة واضحة أن الإماتة التي ثبتت من

◈ *يبدو أنه سهو والصحيح: "الجسمانية" و "الروحانية". (الناشر)*

تفسير ابن عباس، قد وقعت وتمّت وليس بواقع كما ظن بعض الناس. أفأنت تظن أن النصارى ما أشركوا بربهم وليسوا في شُرُك كالأسارى؟ وإن أقررت بأنهم قد ضلوا وأضلوا، فلزمك الإقرار **بأن المسيح قد ماتَ وفاتَ،** فإن ضلالتهم كانت موقوفة على وفاة المسيح، فتفكَّر ولا تُجادل كالوقيح. وهذا أمر قد ثبت من القرآن، ومن حديث إمام الإنس ونبيّ الجانّ، فلا تسمع رواية تخالفها، وإن الحقيقة قد انكشفت فلا تلتفت إلى من خالفها، ولا تلتفت بعدها إلى رواية والراوي، ولا تُهلك نفسَك من الدعاوي، وفكِّر كالمتواضعين.

هذا ما ذكّرناك من **النبي والصحابة** لنزيل عنك غشاوة الاسترابة، وأما حقيقة **إجماع** الذين جاءوا بعدهم، فنُذكّرك شيئا من كَلِمِهم، وإن كنتَ من قبل من الغافلين.

فاعلم أن **الإمام البخاري،** الذي كان رئيس المحدِّثين من فضل البارئ، كان **أول المقِرّين بوفاة المسيح،** كما أشار إليه في الصحيح، فإنه جمَع الآيتين لهذا المراد، ليتظاهرا ويحصل القوة للاجتهاد. وإن كنتَ تزعم أنه ما جمع الآيتين المتباعدتين لهذه النيّة، وما كان له غرض لإثبات هذه العقيدة، فبيِّنْ لِمَ جمع الآيتين إن كنتَ من ذوي العينين؟ **وإن لم تبيّن، ولن تبيّن،** فاتق الله ولا تُصرّ على طرق الفاسقين.

ثم بعد **البخاري** انظروا يا ذوي الأبصار، إلى كتابكم المسلّم "**مجمَع البحار**"، فإنه ذكر اختلافات في أمر عيسى عليه السلام، وقدّم الحياة ثم

قال: و**قال مالك: مات.** فانظروا "المجمع" يا أهل الآراء، وخذوا حظّا من الحياء، هذا هو القول الذي تكفرون به وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وباعدتم عن مقام الاتّقاء، أليس منكم رجل رشيد يا معشر المفتتنين؟

وجاء في الطبراني والمستدرك عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة. ثم بعد هذه الشهادات، انظروا إلى **ابن القيّم المحدّث** المشهود له بالتدقيقات، فإنه قال في "**مدارج السالكين**" إن **موسى وعيسى** لو كانا حيَّين ما وسعهم* إلا اقتداء **خاتم النبيين.** ثم بعد ذلك انظروا في الرسالة "**الفوز الكبير وفتح الخبير**" التي هي تفسير القرآن بأقوال خير البريّة، وهي من ولي الله الدهلوي حكيم الملّة، قال: **متوفّيك: مميتُك.** ولم يقل غيرها من الكلمة، ولم يذكر معنى سواها اتّباعا لمعنى خرج من مشكاة النبوّة. ثم انظر في "الكشّاف"، واتق الله ولا تَخْتَرْ طرق الاعتساف كمجترئين.

ثم بعد ذلك تعلمون عقيدة الفِرق **المعتزلة**، فإنهم لا يعتقدون **بحياة عيسى**، بل أقرّوا بموته وأدخلوه في العقيدة. ولا شك أنهم من المذاهب الإسلامية، فإن الأمّة قد افترقت بعد القرون الثلاثة، ولا ينكر افتراق هذه الملّة، والمعتزلة أحد من الطوائف المتفرّقة. وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني المقبول عند الثقات، في كتابه المعروف باسم "الطبقات":

* *يبدو أن الألف سقط هنا سهوا والصحيح " وسعهما". (الناشر)*

وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول: كثير من كلام الصوفية لا يتمشى ظاهره إلا على قواعد المعتزلة والفلاسفة، فالعاقل لا يُبادر إلى الإنكار بمجرّد عزاء ذلك الكلام إليهم، بل ينظر ويتأمل في أدلّتهم. ثم قال: ورأيت في رسالة سيدي **الشيخ محمد المغربي الشاذلي**: اعلم أن طريق القوم مبني على شهود الإثبات، وعلى ما يقرب من طريق المعتزلة في بعض الحالات. هذا ما نقلنا من لواقح الأنوار، فتدبّر كالأخيار، ولا تعرض كالأشرار، ولا تخترْ سبل المعتدين.

وإن قلتَ إن **الإجماع** قد انعقد على عدم العمل بالمذاهب المخالفة **للأئمّة الأربعة،** فقد بيّنّا لك حقيقة الإجماع، فلا تصُلْ كالسِّباع، وفكِّرْ كأولي التقوى والارتياع، واذكر قول الإمام **أحمد** الذي خاف الله وأطاع، قال: من ادّعى الإجماع فهو من الكاذبين.

ومع ذلك نجد كثيرا من الاختلافات الجزئية في **الأئمّة الأربعة،** ونجدها خارجة من إجماع الأئمّة، فما تقول في تلك المسائل وفي قائلها؟ أأنت تقرّ بغوائلها، أو أنت تجوّز العمل عليها والتمسك بها ولا تحسبها من خيالات المتبدِّعين؟ وأنت تعلم أن **الإجماع** ليس معها ومع أهلها، وكل ما هو خارج من الإجماع فهو عندك فاسد ومتاع كاسد، وتحسب قائلها من الملحدين الدجّالين. وإن كنتَ تزعم أن الإجماع قد انعقد على **حياة عيسى المسيح** بالسند الصحيح والبيان الصريح، فهذا **افتراء منك ومن أمثالك، ألا لعنة الله** على الكاذبين

المفترين.

أيها المستعجلون.. لِمَ تسعون مكذبين؟ ومن أعظم المهالك تكذيب قوم كُشِف عليهم ما لم يُكشف على غيرهم من دقائق سبيل الحق واليقين. وكم من أُناس ما أهلكهم إلا ظنونهم، وما أرداهم إلا سبّ الصادقين. دخلوا حضرة أهل الله مجترئين، وما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين.

وإن المنكرين رموا كل سهم وتبعوا كل وهم، فما وجدوا مقاما في هذا الميدان، وجاهدوا كل جهد فما بقي عندهم سوى الهذيان، فلما انثلت الكنائن، ونفدت الخزائن، ولم يبق مفرّ ولا مآب، ولا ثنية ولا ناب، مالوا إلى السبّ والتكفير، والمكر والتزوير، لعلهم يغلبون بهذا التدبير، حتى اجترأ بعض الناس من وساوس الوسواس الخنّاس على أن يخدع بعض العوام بصرير الأقلام، فألّف كتابا لهذا المرام، وقيّض القدر لهتك ستره أنه أشاع الكتاب بشرط الإنعام، وزعم أنه سكّتَنا وبكّتَنا وأدّى مراتب الإفحام، وصار من الغالبين. فنهضنا لنعجُم عُودَ دعواه، وماءَ سُقياه، ونمزّق الكذّاب وبلواه، ونُري جنوده ما كانوا عنه غافلين. فإن **إنعامه** أوحشَ الذين هم كالأنعام، وإعلامه أوهشَ بعضَ العَيْلام، وما علموا خبث قوله وضعف صوله، وحسبوا سرابه كماء معين. وكنتُ آليتُ أن لا أتوجّه إلا إلى أمر ذي بال، ولا أضيع الوقت لكل مناضل ونضال، ورأيتُ تأليفه مملوّا من الجهلات، ومشحونا من

الخزعبلات، ومجموعا من ديدن الغباوة، وموضوعا من قريحة الشقاوة، فمنعتني عزّةُ وقتي وجلالة همّتي أن ألطّخ يديّ بدم هذا الدود، وأبعد عن أمر المقصود، ولكني رأيت أنه يخدع كلَّ غمر جاهل بإراءة إنعامه وتُرّهات كلامه، ولو صمتْنا فلا شك أنه يزيد في اجترامه، ويخدع الناس بتزوير إفحامه، وإنه ولَج الفخّ فنرى أن نأخذه ثم نذبحه للجائعين. وإنه يطير طيران الجراد، ليأكل زرع رب العباد، فرأينا لتأييد عين الحقيقة ومجاريها، أن نصطاد هذه الجراد مع ذراريها، ونُنج الخلق من كيد الخائنين. فوالذي حبانا بمحبّته، ودعانا إلى تأييد أحبّته، إنّا لا نرغب في عطاء هذا الرجل وإنعامه، بل نحسبه فضولا كفضول كلامه، وما نريد إلا أن نُريه جزاء اجترامه، لئلا يغترّ بعض الجهلة من المتعصّبين.

فاعلم يا من ألّف الكتاب ويطلب منّا الجواب، إنا جئناك راغبين في استماع دلائلك، لننجيك من غوائلك، ونجيح أصل رذائلك، ونريك أنك من الخاطئين. وأنت تعلم أن حمل الإثبات ليس علينا بل على الذي ادّعى الحياة ويقول إن عيسى ما مات وليس من الميتين. فإن حقيقة الادّعاء اختيار طرق الاستثناء بغير أدلّة دالّة على هذه الآراء، أعني إدخال أشياء كثيرة في حكم واحد، ثم إخراج شيء منه بغير وجه الإخراج وسبب شاهد، وهذا تعريف لا ينكره صبي ولا غبي، إلا الذي كان من تعصّبه كالمجنونين.

فإذا تقرّر هذا فنقول إنّا نظرنا إلى زمان بُعث فيه المسيح، فشهد النظر الصحيح أنه كل من كان في زمانه من أعدائه وأحبّائه وجيرانه، وإخوانه وخلانه وخالاته، وأمهاته وعمّاته وأخواته، وكل ما كان في تلك البلدان والديار والعمران، كلهم ماتوا وما نرى أحدا منهم في هذا الزمان؛ فمَن ادّعى أنّ عيسى بقي منهم حيّا وما دخل في الموتى فقد استثنى، فعليه أن يُثبت هذا الدعوى.

وأنت تعلم أن الأدلة عند الحنفيين لإثبات ادعاء المدّعين **أربعة أنواع** كما لا يخفى على المتفقهين.

الأول: قطعيّ الثبوت والدلالة وليس فيها شيء من الضعف والكلالة، كالآيات القرآنية الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة، بشرط كونها مستغنية من تأويلات المؤوّلين، ومنَزّهة عن تعارض وتناقض يوجب الضعف عند المحققين.

الثاني: قطعي الثبوت ظني الدلالة، كالآيات والأحاديث المؤوَّلة مع تحقُّق الصحّة والأصالة.

الثالث: ظنّيّ الثبوت قطعيّ الدلالة، كالأخبار الآحاد الصريحة مع قلّة القوّة وشيء من الكلالة.

الرابع: ظنّيّ الثبوت والدلالة، كالأخبار الآحاد المحتملة المعاني والمشتبهة.

ولا يخفى أن الدليل القاطع القوي هو **النوع الأول** من الدلائل،

ولا يمكن مِن دونه اطمينان السائل. **فإنّ الظنَّ لا يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**، ولا سبيل له إلى يقين أصلاً. ولم أزل أرقُب رجلا يدّعي اليقين في هذا الميدان، وأتشوّف إلى خبره في أهل العدوان، فما قام أحد إلى هذا الزمان، بل فرّوا مني كالجبان، فأودعتهم كاليائسين وانطلقت كالمتفرّدين، إلى أن جاءني بعد تراخي الأمد، تلك رسالتك يا ضعيف البصر شديد الرمد، ونظرت إليه نظرة وأمعنت فيه طرفة، فعرفت أنه من سقط المتاع، ومما يستوجب أن يُخفَى ولا يُعرض كالبَعاع. ولو غشِيك نور العرفان، وأمعنتَ كرجل له عينان، لسترتَ عوارك، وما دعوت إليه جارك، ولكن الله أراد أن يُخزيك، ويُري الخلق خزيك، فبارزتَ وأقبلت، وفعلت ما فعلت، وزوّرت وسوّلت، وكتبت في كتابك الإنعام، لتُرضي به الأنعام، ولكن رتَقتَ وما فتَقت، وخدعتَ في كل ما نطقت، وإنّا نعلم أنك لست من المتموّلين.

ومع ذلك لا نعرف أنك صادق الوعد ومن المتقين، بل نرى خيانتك في قولك كالفاسقين. فما الثقة بأنك حين تُغلب وترتعد ستفي بما تعد؟ وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل، فإن وردت غدير الغدر، فمن أين نأخذ العَين يا ضيّقَ الصدر؟ وما نريد أن تُرجع الأمر إلى القضاة ونحتاج إلى عون الولاة، ونكون عرضة للمخاطرات. ونعلم أنك أنت من بني غبراء، لا تملك بيضاء ولا صفراء، فمن أين يخرج العَين مع خصاصتك وإقلالك وقلة مالك؟ ومع

ذلك للعزائم بدواتٌ، وللعِدات معقّبات، وبيننا وبين النَجْز عقبات، ولا نأمن وعدكم يا حزب المبطلين. فإن كنتَ من الصادقين لا من الكاذبين الغدّارين، وصدقت في عهد إنعامك وما نويتَ حنثًا في إقسامك، فالأمر الأحسن الذي يسرد غواشي الخطرات، ويجيح أصل الشبهات، ويهدي طريقا قاطع الخصومات، أن تجمع **مال الإنعام عند رئيس من الشرفاء الكرام**، ونحن راضون أن تجمع عند الشيخ **غلام حسن** أو الخواجه **يوسف شاه** أو المير **محمود شاه** قطعًا للخصام، ونأخذ منهم سندًا في هذا المرام، فهل لك أن تجمع عَينك عند رجلٍ سواءٍ بيني وبينك، أو لا تقصد سبيل المنصفين؟ وإنّا لا نعلم مكنون طويّتك، فإن كنت كتبتَ الرسالة من صحة نيّتك، لا من فساد طبيعتك، فقُمْ غيرَ وانٍ ولا لاوٍ إلى عدوان، واعمل كما أمرنا إن كنتَ من الصادقين. وإنّا جئناك مستعدّين ولسنا من المعرضين ولا من الخائفين، بل نُسَرُّ بالإقدام ولو على الضِرغام، ولا نخاف أمثالك من الناس، بل نحسبهم كالثعالب عند البأس. وأزمعْنا أن نفتّش خباءتك، ونستنفض حقيبتك، ونحسر اللثام عن قربتك، وقلّما خلص كذّاب أو بورك له اختلاب، وقد بقينا عامًا لا نخشِّن كلامًا، ولا نجيب مكفِّرًا ولوّامًا، وصبرنا ورأينا اجْلِخْماما، حتى ألجأتْنا مرارةُ الكلمات إلى جزاء السيئات بالسيئات، وعلاجِ الحيّات بالعصي والصَّفاة، فقمنا لنهتك أستار الكاذبين.

فلا نلتفت إلى القول العريض، ونريد أن تبرز إلينا بالصُّفر والبِيض، **وتجمع مبلغك عند أحدٍ من الرجال الموصوفين**، وتأمرهم ليعطوني مبلغك عندما رأوك من المغلوبين. فإن لم تفعل فكذبك واضح، وعذرك فاضح، **ألا لعنة الله على الكاذبين، ألا لعنة الله على الغادرين الناكثين، الذين يقولون ولا يفعلون**، ويعاهدون ولا ينجزون، ولا يتكلمون إلا كالخادعين المزوّرين، فعليهم **لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**. فاتّقِ لعنة الله وأَنجِزْ ما وعدتَ كالصادقين. وإن كنت لا تقدر على الإيفاء، وليس عندك مال كالأمراء، فاطلبْ **لعونك قوما** يأسُون جراحك ويريّشون جناحك، فإن كانوا من المصدّقين المعتقدين، فيعينونك كالمريدين، مع أن دِين القوم جبرُ الكسير وفكُّ الأسير، واحترام العلماء واستنصاح النصحاء. على أنك لن تطالب بدرهم إلا بعد شهادة حَكم، وأما الحَكم فلا بد من الحَكمَين بعد جمع العَين. ووكّلنا إليك هذا الخَطبَ، ولك كل ما تختار اليابس أو الرطبَ، فإن جعلتَ حَكَمَين كاذبَين، فنقبلهما بالرأس والعين، ولا ننظر إلى الكذب والمِين، بيد أننا نستفسرهما بيمين الله ذي الجلال، وعليهما أن يحلفوا* إظهارًا لصدق المقال، ثم نمهلهما إلى عام، ونمدّ يد المسألة إلى خبير علاّم، فإن لم تتبين إلى تلك المدّة أمارة الاستجابة، فنُشهد الله أنّا نُقرّ بصدقك من دون الاسترابة، ونحسبك

---

* *يبدو أنه سهو والصحيح: "يحلفا". (الناشر)*

من الصادقين.

وأعجبني لِمَ تصدّيتَ لتأليف الكتاب، وأيّ أمر كتبتَ كالنادر العجاب، بل جمعتَ فضلة أهل الفضول، واتبعتَ جهلات الجهول، وما قلت إلا قولاً قيل من قبلك، ونُسج بجهل أكبر من جهلك، وما نطقتَ بل سرقت بضاعة الجاهلين. وما نرى في كلامك إلا عبارتك التي نجد ريحه كسَهْكِ الحيتان المتعفنة، ونتنِ الجيفة المنتنة، ونراه مملوًّا من تكلّفات باردة ركيكة، وضحكة الضاحكين. وفعلتَ كل ذلك لرُغفان المساجد، وابتغاءِ مرضاة الخَلق كالواجد، لا لله رب العالمين.

يا من ترَك الصدق ومانَ، قد نبذت الفرقان، ولا تعلم إلا الهذيان، وتمشي كالعمين، لا تعلم إلا الاختراق في مسالك الزور، والانصلات في سكك الشرور، ولا تتقي براثن الأسد وتسعى كالعُمي والعُور، وإنّا كشفنا ظلامك، ومزّقنا كلامك، وستعرف بعد حين. أتؤمن بحياة المسيح كالجهول الوقيح، وتحسبه كأنه استُثْنِيَ من الأموات، وما أقمت عليه دليلا من البيّنات والمحكمات، ولا من الأحاديث المتواترة من خير الكائنات، فكذبتَ في دعوى الإثبات، وباعدتَ عن أصول الفقه يا أخا الترّهات. أيها الجهول العجول، المخطئ المعذول، قِفْ وفكِّرْ برزانة الحصاة، ما أوردتَ دليلا على دعوى الحياة، وما اتبعتَ إلا الظنيات، بل الوهميات. ونتيجة الأشكال لا يزيد على المقدّمات، فإذا كانت المقدّمتان ظنّيّتَين فالنتيجة ظنّية، كما لا يخفى على ذوي

العينين. وإن كنتَ لا تفهم هذه الدقائق، ولا تدرك هذه الحقائق، فسَلِ الذين من أولي الأبصار الرامقة، والبصائر الرائقة، وانظر بعينِ غيرك إن كنت لا تنظر بعينك في سيرك، واستنزِلِ الريَّ من سحاب الأغيار، إن كنتَ محرومًا من دَرِّ الأمطار.

ألا تعلم يا مسكين أن قولك يُعارض بيّنات القرآن، ويخالف مُحكمات الفرقان؟ وقد تبيّن معنى التوفّي من لسان سيّدِ الإنس ونبيِّ الجانّ، وصحابته ذوي الفهم والعرفان. وأيّ فضل لمعنى العوام، بعد ما حصحص المعنى من خير الأنام، ومَن يأباه إلا من كان من الفاسقين؟

فتندّم على ما فرّطتَ في جنب الله وبيّناته، واتبعتَ المتشابهاتِ وأعرضتَ عن محكماته، ووثَبْتَ كخليع الرسن، وتركتَ الحق كعَبَدةِ الوثن. وإني نظرتُ رسالتك الفينة بعد الفينة، فما وجدتُها إلا راقصة كالقينة، ووالله إنها خالية عن صدق المقال، ومملوّة من أباطيل الدجّال، فعليك أن تنقُد المبلغ في الحال، لنريك كذبك ونوصلك إلى دار النكال. وعليك أن تجمع مالك عند أمين الذي كان ضمينا بيقين، وإلا فكيف نوقن أنّا نقطف جناك إذا أبطلنا دعواك، وأريناك شقاك؟ يا أسير المِتْربة، لستَ من أهل الثروة، بل مِن عَجَزة الجهلة، فاترُكْ شِنْشِنة القِحَة، واجمعِ المال وجانِبْ طرق الفِرية والتَعِلّة، فواهًا لك إن كنت من الصادقين الطالبين، وآهًا منك إن كنت من المعرضين المحتالين. وقد أوصينا واستقصينا، ونقّحنا تنقيح من يدعو أخا الرشد

ويكشف طرق السَّدَد، وأكملنا التبليغ لله الأحد، وننظر الآن أتجمع المال وتُزري العهد والإيمان، أو تُزري الغدر وتتبع الشيطان كالمفسدين.

ووالله الذي يُنزل المطر من الغمام، ويُخرج الثمر من الأكمام، إني ما نهضتُ لطمعٍ في الإنعام، بل لإخزاء اللئام، ليتبين الحق وليستبين سبيل المجرمين، وإن الله مع المتّقين. ووالله الذي أعطى الإنسان عقلاً وفكرًا، لقد جئتَ شيئًا نُكْرًا، وأبقيتَ لك في المخزيات ذكرا. وقد كتبنا من قبل اشتهارا، وواعدْنا للمجيبين إنعاما، وأقررنا إقرارا، فما قام أحدٌ للجواب، وسكتوا كالبهائم والدواب، وطارت نفوسهم شعاعا، وأرعدت فرائصهم ارتياعا، وأكبّوا على وجوههم متندّمين.

أفأنت أعلم منهم أو أنت من المجانين؟ إنهم كانوا أشدَّ كيدًا منك في الكلام، بل أنت لهم كالتِّلام، فكان آخر أمرهم خزي وخذلان وقهر رب العالمين. وإن الله إذا أراد خزي قوم فيعادون أولياءه، ويؤذون أحبّاءه، ويلعنون أصفياءه، فيبارزهم الله للحرب، ويصرف وجههم بالضرب، ويجعلهم من المخذولين. ألا تفكرون في أنفسهم أنّ الله يُنزل نُصرته لنا بجميع أصنافها، **ويأتي الأرض ينقصها من أطرافها**، ويحفظنا بأيدي العناية، ويسترنا بملاحف الحماية، فلا يضرّنا كيد المفسدين؟ يعلم من كان له ومن كان لغيره، وينظر كل ماش في سيره، ولا يهدي قوما مسرفين، ويبير الفاسقين ويمحو أسماء المفترين من أديم الأرضين. هو الغيور المنتقم، ويعلم عمل المفسد الفتّان، ويأخذ المفترين

بأقرب الأزمان، فيُنزل رجزه أسرعَ من تصافُح الأجفان. فتوبوا كالذين خافوا قهر الرحمن، وأنابوا قبل مجيء يوم الخسران، وغيَّروا ما في أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، يا معشر أهل العدوان. اطلبوا الرحم وهو أرحم الراحمين. فتندّم يا مغرور على جهلاتك، واعتذر من فرطاتك، وفكِّر في خسرك وانحطاط عرضك وانكشاف سترك، وازدجِرْ كالخائفين.

واعلمْ أنه من نهض ليستقري أثر حياة عيسى، فما هو إلا كجادع مارن أنفِه بموسى، فإن الفساد كل الفساد ظهر مِن ظنِّ حياة المسيح، واسودّت الأرض من هذا الاعتقاد القبيح، ومع ذلك لا تقدرون على إيراد دليل على الحياة، وتأخذون بأقوال الناس ولا تقبلون قول الله وسيد الكائنات. وتعلمون أنه **من فسّر القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ**، ثم تتبعون أهواءكم ولا تتقون مَن ذرأ وبرأ، وتتكلمون كالمجترئين. وإذا قُرئ عليكم آيات الفرقان فلا تقبلونها، وإنْ قُرئ نصف القرآن، وإنْ عُرِضَ غيره، فتقبلونه مستبشرين. لا تلتفتون إلى كتاب الله الرحمن، وتسعون إلى غيره فرحين. وليت شعري! كيف يجوز الاتكاء على غير القرآن بعد ما رأينا بيّنات الفرقان؟ أتوصلكم غيرُ القرآن إلى اليقين والإذعان؟ **فأْتوا بدليل إن كنتم صادقين.**

يا حسرة على أعدائنا! إنهم صرفوا النظر عن صحف الله الرحمن، وما طلبوا معارفها كطلاّب العرفان، وأفنوا زمانهم وعمرهم في أقوال لا توصلهم إلى روضات الإذعان، ولا تسقيهم من ينابيع مطهّرة

للإيمان، وما نرى أقوالهم إلا كصوّاغين باللسان.

فيا معشر العُمي والعُور.. اتقوا الله ولا تجترئوا على المعاصي والفجور، وتخيّروا طريقا لا تخشون فيه مسَّ حيفٍ ولا ضربَ سيف، ولا حُمَةَ لاسعٍ ولا آفةَ وادٍ واسع، وقوموا لله قانتين. وفكّروا في قولي.. هل صدقتُ فيما نطقتُ، أو ملتُ فيما قلتُ، وتفكروا كالخاشعين. ما لكم لا تستعدّون لقبول الحجّة وتزيغون عن المحجّة، تركضون في امتراء الميرة، ولها تتركون أقارب العشيرة. وما أرى فيكم من ترك لله الأقارب والأحباب، وجدَّ في الدين ودأب. لم لا تتأدّبون بآداب الصلحاء، ولا تقتدون بطرق الأتقياء؟ أنكرتم الحق وما رأيتم سُقياه، وما وطأتم حصاه، وما استشرفتم أقصاه، وتركتم الفرقان وهُداه، وكنتم قوما عادين.

يا أهل الفساد والعناد.. اتقوا الله رب العباد. أين ذهب تقاكم؟ وأضلّكم علمُكم وما وقاكم. لا تفهمون **القرآن** ولا تمسّون **الفرقان**، فأين غارت مزاياكم، وأين ذهب ريّاكم؟ ما أجد كلامكم مؤسَّسًا على التقوى، وأجد قلوبكم متدنسة بالطغوى. فما بال قرب* كان لها كمثلِكم الملاّحُ، وما بال أرض يحرثها كحزبكم الفلاّحُ؟ ولا شك أنكم أعداء الدين وعِدا الشرع المتين. ونعلم أن قصر الإسلام منكم ومن أيديكم عفا، ولم يبق منه إلا شفا، ولولا رحمة ربي لأحاطه

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "القوارب". (الناشر)*

الدجى، وكان الله حافظه وهو خير الحافظين.

ألا تنظرون أنكم كَمْ فَجٍّ سلكتم، وكم رجلٍ أهلكتم، وكم بِدَعٍ ابتدعتم، وكم قومٍ خدعتم، وكم عرضٍ اختلستم، وكم ثعلبٍ افترستم؟ أمّا الآن فالحق قد بان ورحم الرب الرحيم، واستنار الليل البهيم، وأنار الدين القويم، وظهر أمر الله وكنتم كارهين. إن لله في كل يوم نظرةً، فنظر الدينَ رحمةً، ووجده غرضًا لسهام الأعداء، وكالوحيد الطريد في البيداء، فأقامني برحمة خاصة في أيام إقلال وخصاصة، ليجعل المسلمين من المنعَمين، ويعطيهم ما لم يعط لآبائهم ويرحم الضعفاء، وهو أرحم الراحمين.

وما قمتُ بهذا المقام إلا **بأمر قدير**، يبعث **الإمام** ويعلم الأيام، حكيم عليم يرى أيام الغي والضلال، وصراصر الفساد في النساء والرجال. تناهى الخَلق في التخطي إلى الخطايا، وعقروا مطا المطايا، ودفنوا الحق في الزوايا، ولمع الباطل كالمرايا، **فرأى هذا كلّه ربُّ البرايا، فبعث عبدًا من العباد**، عند وقت الفساد، أعَجِبتم من فضله يا جَمْرَ العناد؟ فلا تتكئوا على الظنون، ولله أسرار كالدرّ المكنون، يبلي عباده في كل زمان، وكل يوم هو في شان.

وأُقسِم بعلاّمِ المخفيّات، ومُعينِ الصادقين والصادقات، أني من الله رب الكائنات. ترتعد الأرض من عظمته، وتنشق السماء من هيبته، وما كان لكاذب ملعون أن يعيش عمرا مع فِريته، فاتقوا الله وجلال

حضرته. ألم يبق فيكم ذرّة من التقوى؟ أنسيتم وعظ كفّ اللسان وخوف العقبى؟ يا أيها الظانّون ظن السوء.. تعالوا ولا تفرّوا من الضوء.

يا قوم إني من الله.. إني من الله.. إني من الله، وأُشهد ربي أني من الله. أؤمن بالله وكتابه الفرقان، وبكل ما ثبت من سيّد الإنس ونبيِّ الجانّ. وقد بُعثتُ على رأس المائة، لأجدّد الدين وأُنوّر وجه الملّة، والله على ذلك شهيد، ويعلم من هو شقي وسعيد. فاتقوا الله يا معشر المستعجلين.. أليس فيكم رجل من الخاشعين؟ أتصولون على الأسود ولا تميّزون المقبول من المردود؟ وفي الأمّة قوم يلحقون بالأفراد، ويكلّمهم ربهم بالمحبّة والوداد، ويُعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، ويُطعمهم ويسقيهم، ويكون فيهم وعليهم ولهم، ويُحاطون من رب العالمين. لهم أسرار من ربهم لا يعلمها غيرهم، ويشرَبُ قلبهم هوى المحبوب ويُوصَلون إلى المطلوب. ينوّر باطنهم ويترك ظاهرهم في الملومين، فطوبى لفتى يأتمّ بآدابهم، وتنكسر جبائر مكرِهِ في جنابهم، ويسرج جواد الصدق لصحبة الصادقين.

هذا ما كتبنا وألّفنا لك الكتاب، فإذا وصلك فأمْلِ الجواب. وحاصل الكلام أنّا قائمون للخصام، لنذيقك جزاء السهام، ومن آذى الأحرار فأباد نفسه وأبار. فاسمَعْ مني المقال، إني أرقُب أن تجمع المال، فإذا جمعتَ وأتممت السؤال، فاعلم أن **أحمد** قد صال وأراك الوبال

والنكال. يا مسكين إن **موت عيسى** من البديهيات، **وإنكاره** أكبر الجهلات، ولكن صدِئ قلبُك وغلُظ الحجاب، فردّدتْ وتقاذفتْ بك الأبواب، فلا تصغَى إلى العظات، ويؤذيك الحق كالكَلِمِ المحفِظات، وأرداك تباهيك بكتابك وهو أصل تبابك. وإني عرفت سرّك ومعمّاه، وإن لم يَدْرِ القوم معناه. وما تريد إلا أن تفتتن قلوب السفهاء، وتخدع الجهلاء، لتكون لك عزّةٌ في الأشقياء، وتفوز في الأهواء، وهذا خاتمة الكلام، فتدبّرْ كالعقلاء، ولا تقعد كالعمين.

هداك الله هل تُرضي العواما ... لكي تستجلِبنْ منهم حُطاما

وهل في ملّة **الإسلام** أثرٌ ... من الكَلِمِ التي تَبرِي خِصاما

أعندك حُجّةٌ **إجماعُ قومٍ** ... أضاعوا **الحق** جهلا واهتضاما

ومثلك أُمّةٌ قتلتْ **حسينا** ... إذا وجدتْ كمنفرد إماما

تـمّـت

[1]نظرة أخرى على كتيب المولوي رسل بابا "حياة المسيح" وطلب إيداع ألف روبية كجائزة

لقد بيَّنا آنفا بأن المولوي المذكور في العنوان قد كتب في هذه الأيام كتابا لإثبات حياة عيسى ، سمَّاه "حياة المسيح". لكنه إذا طُرِح سؤال: ما الذي أثبته رغم تكبده الجهود الكثيرة وإضاعته للوقت؟ لن يقول أي منصف ردًّا على هذا السؤال سوى: "لا شيء". فلو كانت نية المولوي صادقة وكانت غايته من هذه العملية تحرِّي الأمر الحق لا أمرا آخر، لقرأ بتدبر قبل تأليف هذا الكتيب الآياتِ البينات التي تُثبت وفاة عيسى بجلاء وكأنه مات أمام أعيننا ودُفن. لكن المؤسف أن المولوي المحترم مرَّ بهذه الآيات البينة المحكمة مغمض العينين. وأراد- بتحريفه بعض الآيات الأخرى وبإضافة بعض الجمل من عنده إليها- أن يُثبت للعامة أن تلك الآيات تدل على حياة عيسى . لكنه إذا كان يَثبت شيء من مفتريات المولوي هذه فإنما يثبت أن في طبعه صفات اليهود أيضا؛ وإلا ليس من عمل أي سعيد أن يسعى لإثبات أمر بتغيير الترتيب الظاهر في القرآن الكريم، وفصل الرابط غير المنفك في الآيات، وإضافةِ بعض الجمل من عنده. وإذا كان هذا العمل يسمَّى إثباتا، إذن فليس هناك أي أمر يستحيل

[1] من هنا إلى صفحة ٩٥ ترجمة عربية للنص الأردي الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

إثباتُه. بل يمكن أن يُثبت كل ملحد وعديم الإيمان مقاصده بهذا الأسلوب. فمن ذا الذي يجهل أن معنى كتاب ما، لا يعدّ صحيحا إلا إذا صدر بحسب ترتيب الجمل وارتباطها وسياقها. أما إذا فك أحدهم تركيب هذا الكتاب وفصل أجزاء العبارة عن بعضها البعض وأضاف إليها بعض الجمل من عنده بمنتهى التجاسر، وأراد من ذلك النص المختلق أن يُثبت غاية ما، أفلا يعد تصرفه هذا كتحريف اليهود الذي بسببه وُصفوا في القرآن الكريم بالقردة والخنازير، وهم الذين كانوا قد قاموا بمثل هذه الأعمال الإلحادية في التوراة؟ إذا كان إثبات حياة المسيح عليه السلام ممكنا بتصرفات الخيانة والتحريف من هذا القبيل فيجب أن نُقر بأن حياته ثابتة. لكن كيف نعالج هذه القضية وقد سمى الله سبحانه وتعالى المحرفين من هذا القبيل بالخنازير والقردة ولعَنهم ونهى عن مصاحبتهم. يجب أن نتذكر دومًا أننا لسنا مخولين بتغيير آية من كلام الله أو تبديلها أو تقديمها أو تأخيرها ولا باختراع الجمل من عندنا ودسِّها فيه، إلا إذا وجدنا مثيله في أسوة النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم بنفسه قام بمثل هذا التغيير والتبديل. وما لم يثبت ذلك لا نستطيع أن نقلب ترصيع القرآن الكريم وترتيبه ولا نستطيع أن نضيف إليه بعض الجمل من عندنا. وإن فعلنا ذلك فنحن مجرمون وجديرون بالمؤاخذة عند الله. الآن ينبغي أن يقرأ القرّاء كتاب المولوي المحترم شخصيا، ليتأكدوا إن كان مليئا بمثل هذه الأعمال والتصرفات أم أنه قد ذكر في

بعض المواضع آيةً من القرآن الكريم وأثبت أنها تفيد حياة المسيح حصرا في ضوء أحاديث النبي ﷺ، دون القيام بالتكلفات والتحريفات. لا نكنّ أي عناد وتعصب للمولوي رسل بابا ولا لأي مولوي آخر. وإن لم يسلك مسالك اليهود وقام باستدلال صحيح فمن الإلحاد ألا يقبل أمرا مُؤَكَّدًا، فلو فكر أحدهم بعيدا عن كل أنواع التعصب كيف تَثبت الحقائق وما هي القاعدة لإثباتها، لأدرك أن الله سبحانه وتعالى قد حدد قاعدة واحدة لإثباتها فقط وهي أنه ينبغي أن توظَّف الأمور الواضحة والصريحة والبديهية برهانا على إثبات الأمور النظرية. أما إذا قدموا كدليل أمرا هو بحد ذاته نظري ومشتبه به، وقد اختُرع بالتكلفات والتأويلات والتحريفات، فلن يسمى دليلا، بل هو دعوى مستقلة بحاجة إلى دليل. من المؤسف أن المولويين السذج لا يقدرون على تمييز الدعوى من الدليل، إذ حين يُطلب منهم دليلُ أي دعوى يقدّمون دعوى أخرى، ولا يفهمون أنها أيضا تحتاج إلى دليل كسابقتها. كنا قد طرحنا على المولويين المعارضين في الرأي سؤالا واحدا فقط حول حياة المسيح عليه السلام ومماته. فلو أمعنوا النظر فيه بأمانة، لكفاهم للهداية سؤالٌ واحد فقط. فلو أراد أحد أن يهتدي لفكَّر فيه. وكان ذلك السؤال: إن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة التوفي بحق المسيح عليه السلام في آيتين في القرآن الكريم، وقد وردت الكلمة نفسها في القرآ الكريم بحق نبينا ﷺ أيضا، كما ذكر الله سبحانه وتعالى الكلمة نفسها في دعاء يوسف عليه السلام

أيضا، ووردت في آيات كثيرة أخرى. وبإلقاء نظرة على كل هذه الآيات يستطيع كل ذي طبع منصف أن يدرك بقناعة كاملة أن كلمة التوفي لا تعني في كل آية غيرَ الإماتة وقبض الروح، كما أن كُتب الحديث هي الأخرى زاخرة بهذا التعبير. ستجدون ورود كلمة التوفي في مئات الأحاديث، فهل يمكن أن يُثبت أحدٌ أنها قد وردت في أي موضع من تلك المواضع في غير معنى الإماتة؟ كلا لا يمكن. بل لو قيل لأي عربي أُميّ "توُفِّي زيدٌ" فلن يفهم من ذلك إلا أن زيدا قد مات. اتركوا تعبير العرب المتداول الشائع أيضا جانبا، ولْنرَ أنه من الثابت من ملفوظات النبي ﷺ المباركة أنه كلما مات أي صحابي أو أحد أقاربه عبَّر ﷺ عن وفاته بكلمة التوفي حصرا. ثم عندما مات ﷺ نفسه قال الصحابة بحقه إنه توفي. وكذلك استخدموا الكلمة نفسها للتعبير عن موت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. باختصار؛ قد ورد الخبر بموت جميع الصحابة خطيا وشفهيا بكلمة التوفي حصرا. وتقررت هذه الكلمة كلمةَ شرف للتعبير عن وفاة المسلمين، فحين ترد هذه الكلمة نفسها بحق المسيح عليه السلام فلماذا تخترع لها معانٍ أخرى؟ وإن لم تقبلوا قرار التعبير الشائع فالطريق الثاني للحكم هو أن تنظروا بم فسر النبي ﷺ والصحابة كلمةَ التوفي الواردة بحق المسيح عليه السلام في القرآن الكريم. فقد بحثنا في هذا الباب أيضا وتبين لنا بعد التحري أنه قد ورد في صحيح البخاري- كتاب التفسير- معنى "فلما توفيتَني" على لسان

النبي ﷺ الإماتةُ فقط١، ثم في الموضع نفسه قد ورد قول ابن عباس رضي الله عنه: "متوفيك أي مميتك". أي يا عيسى أنا سأُميتك. فليَسأل الآن أحدُهم هؤلاء المشايخَ الذين لم يقبلوا القرار الأول؛ هل إنكار حكم الصحابة بل حكم النبي ﷺ والإصرار على أن للتوفي معنى آخر، إيمانٌ أم إلحاد؟ فالأسف كل الأسف على العناد الذي يقود المرء إلى رفض المعنى الذي سمعه من فم النبي ﷺ لكلمة ما، ونحْت معنى آخر، وعدم قبول الحكم الذي أصدره النبي ﷺ بنفسه. فهو لا يرد نزاعه إلى الله ورسوله، بل يستعين بمنطق أرسطو وأفلاطون. كلا إنَّ ذلك ليس من سنة الصلحاء، بل الأشقياء هم الذين يقومون بذلك على الدوام. فلا نرى أي شهادة أجدر بالقبول من شهادة النبي ﷺ. إن أوصالي ترتعد حين أرى شخصا لا يقبل حكم النبي ﷺ الذي يُعرَض عليه، بل يتخبط في مواضع أخرى، ثم لا نعرف من أي نوع إيمان هؤلاء السادة الذين لا يقيمون أي وزن لقرار القرآن الكريم ولا لقرار النبي ﷺ ولا لتفسير الصحابة رضي الله عنهم. فأي زمن هذا الذي هجر فيه اللهَ ورسولَه أولئك الذين يُدعَون مشايخ، وإذا أصر عليهم أحد كثيرا وقال لهم إن رسول الله سبحانه وتعالى قد بين معنى التوفي بالإماتة فلماذا لا تقبلونه أنتم؟ فالجواب الأخير لهؤلاء: "كيف نقبل ذلك وقد حصل الإجماع على حياة

---

[1] فعن عائشة رضي الله عنها- في الطبراني والمستدرك- أن رسول الله ﷺ قد قال في المرض الذي توفي فيه إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة.

المسيح عليه السلام!" لكن هذا العذر أيضا أقبح من الذنب، وتجاسرٌ مكروهٌ جدا وإساءة. ذلك لأن الإجماع الذي لا يشمل نبيَّنا ﷺ بل يعارضه ﷺ صراحة فلا يجدر أن يسمى إجماعا ولا قيمة له. كما أن ادعاء الإجماع أيضا لكذب وافتراء. فاقرأوا كتاب بحار الأنوار، المجلد الأول، الصفحة ١٢٨٦؛ فقد ورد فيه تحت شرح "حَكما": "ينزل (أي ينزل عيسى) حَكما؛ أي حاكما بهذه الشريعة لا نبيا، والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: مات، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة."

فانظروا ما دام هذا هو إيمان الإمام مالك الحائز على مكانة مرموقة وعظيمة والذي يعدّ إماما عظيما، وهو من خير القرون وله عشرات الملايين من الأتباع، فيمكن أن نقول بتعبير آخر إن عشرات الملايين من العلماء والأفاضل والأتقياء والأولياء- أي الذين كانوا أتباعا صادقين للإمام- كانوا يعتقدون حصرا بأن عيسى عليه السلام قد مات، لأنه من المستحيل أن يعارض التابعُ الصادق إمامَه، ولا سيما في أمر لا يعدّ قولَ الإمام فقط، بل هو قول الله وقول الرسول وقول الصحابة وقول التابعين وأتباع التابعين. الآن يجب الحياء والخجل قليلا، أن الإمام العظيم الذي ظهر قبل جميع أئمة الحديث وكان محيطا بجميع الأحاديث النبوية كدائرة، ما دام هذا هو مذهبه فكم من الوقاحة أن

[1] مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر الفَتَّني؛ ج١، حرف الحاء- باب الكاف/ تحت شرح "حكما." لقد وضع حضرته رقم الصفحة حسب الطبعة المتوفرة لديه والتي يبدو أنها بقيت في الهند على هذه الشاكلة. المترجم

يذكر الإنسان الإجماعَ في مثل هذه المسألة. من المؤسف أن حضرات المشايخ يخدعون العامة ولا يفكرون عند الكلام بأن العالم بأسره ليس أعمى، فالذين يقرأون الكتب ويُثبتون الخيانات هم أيضا موجودون في القوم أنفسهم، فحين يلاحظ هؤلاء المشايخ المزعومون أنهم عجزوا عن تقديم النصوص من القرآن والأحاديث ولم يبق لهم أي مهرب، وليست في أيديهم أي حجة؛ فإنهم يقولون مضطرين بأنه قد تم الإجماع على ذلك. فصدق من قال إن الشيخ هو من لا يسكت حتى لو تكلم زورا. فهؤلاء يعرفون أن هناك اختلافا حتى في معنى الإجماع، فعند البعض ينحصر الإجماع في الصحابة وعند البعض الآخرين يمدونه إلى القرون الثلاثة وبعضهم إلى الأئمة الأربعة. فما قاله الصحابة والأئمة قد تبين، فلإبطال الإجماع يكفي انسحاب شخص واحد فقط، ناهيك عن إمام عظيم كالإمام مالك رضي الله عنه الذي يقدَّر عددُ أتباع قوله بعشرات الملايين؛ فهو يقول بوفاة عيسى عليه السلام صراحة، ومع ذلك يقول هؤلاء بأنه قد تم الإجماع على حياته، الخجل الخجل الخجل!

إن قول الإمام أحمد رضي الله عنه عن الإجماع مبني على بحث عظيم وإنصاف، فهو يقول بأن من ادَّعى الإجماع فهو كاذب. فمن هنا تبين أن الوثيقة الحقة الصادقة والكاملة للمسلمين هي القرآن الكريم والحديث فحسب، وكل ما عداهما عديم القيمة. لكن الحديث الذي يعارض بينات القرآن المحكمات ويسرد قصة منافية لقصصه هو في

الحقيقة ليس حديثا، بل سيكون قولا محرفا، أو يكون أصلا موضوعا ومزيفا، وهو بلا شك جدير بالرد. لكن من فضل الله ﷻ وكرمه أن الحديث لم يعارض القرآن في مسألة وفاة المسيح في أي موضع قط، بل صدَّقه. فقد ورد في القرآن الكريم ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وورد في الحديث "مميتك"، وفي القرآن ورد ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وفي الحديث أثبت النبي ﷺ باستخدام جملة فلما توفيتني نفسها بحقه دون أي تغيير أو تعديل على أنها تعني الإماتة لا غير. ويُستبعد من شأن النبي ﷺ أن يحرف المعاني التي أرادها الله، بحيث يبين لآية من القرآن الكريم التي تعني الرفع حيًّا أنها تعني الإماتة وذلك باستخدامها بحق نفسه. فهي خيانة وتحريف؛ وإن نسب هذه العملية الخبيثة إلى النبي ﷺ فسق من الدرجة الأولى في رأيي بل هو قريب من الكفر. من المؤسف ما آل إليه مآل هؤلاء المشايخ الخونة بغية إثبات حياة عيسى عليه السلام، بحيث يصفون النبي ﷺ محرِّف القرآن والعياذ بالله. فماذا نقول سوى: لعنة الله على الخائنين الكاذبين. كان الأمر سديدا وقويما أن نبينا ﷺ نسب آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إلى نفسه بالضبط كما كانت منسوبة إلى عيسى عليه السلام، ولم يقل إن هذه الآية إذا وردت بحق عيسى عليه السلام يكون لها معنى آخر مختلف عن معناها في حال نسبتها إلي. مع أنه إذا كان النبي ﷺ ينوي أي تغيير وتبديل معنوي لكان واجبا عليه أن يقول درءًا للفتنة عند هذا التشبيه والتمثيل: حذار أن تفهموا من كلامي هذا

عندما سوف أقول لله سبحانه وتعالى يوم القيامة: "فلما توفيتني" وأُثبت له بذلك أن الفاسدين فسدوا بعد وفاتي، حذار أن تفهموا أن المسيح عليه السلام أيضا سوف يقصد من هذا القول إن الذين فسدوا من أمته فإنما فسدوا بعد وفاته. لأنني حين أستخدم هذه الجملة فأقصد وفاتي، أما المسيح عليه السلام فحين تَصدر من فمه هذه الجملةُ فلن يقصد من ذلك وفاته، بل سيكون مرادُه من استخدام هذه الجملة رفْعَه حيًّا! لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين هذا الفرق. ومن هنا ثبت قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد معنى واحدا في كلا الموضعين. فالآن يجب أن تنظروا بفتح العينين أنه ما دام النبي صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام كلاهما مشتركان في جملة "فلما توفيتني"، فكأن هذه الآية نزلت بحق كليهما، وأي معنى تبينونه لهذه الآية سينطبق على كليهما. فإن قلتم إن المراد هنا من التوفي الرفع حيًّا إلى السماء فلا بد لكم من الإقرار بأن في هذا الرفع المادي حيًّا لم ينفرد عيسى عليه السلام به، بل قد رُفع نبينا صلى الله عليه وسلم أيضا إلى السماء حيًّا. لأن الآية تشملهما على حدّ سواء. ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرفع إلى السماء حيًّا، بل قد توفي وقبره المبارك موجود في المدينة المنورة. فهذا يستلزم الإيمان بأن عيسى عليه السلام أيضا كان قد توفي. والطريف أن قبر عيسى عليه السلام أيضا موجود في بلاد الشام، وللتوضيح أكثر نسجل في الحاشية شهادة أخي وحبي في الله السيد المولوي محمد السعيدي الطرابلسي،

وهو من سكان طرابلس في بلاد الشام، وفي حدوده يقع قبر[1] عيسى عليه السلام. وإن قلتم إنه قبر مزيف فيجب إثبات التزييف، ويجب أن تثبتوا متى صدر هذا التزييف. وفي هذه الحالة لن تبقى القناعة بقبور الأنبياء

---

[1] حين استفسرت السيد المولوي محمد السعيدي الطرابلسي الشامي– عبر البريد– عن قبر عيسى عليه السلام، قال في الرد على رسالتي ما أسجله مع الترجمة أدناه.

يا حضرة مولانا وإمامنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نسأل الله الشافي أن يشفيكم. أما ما سألتم عن قبر عيسى عليه السلام وحالات أخرى مما يتعلق به فأبينه مفصلا في حضرتكم؛ وهو أن عيسى عليه السلام ولد في بيت لحم وبينه وبين بلدة القدس ثلاثة أقواس وقبره في بلدة القدس وإلى الآن موجود وهنالك كنيسة وهي أكبر الكنائس من كنائس النصارى وداخلها قبر عيسى عليه السلام كما هو مشهود وفي تلك الكنيسة أيضا قبر أمه مريم ولكن كل من القبرين على حدة وكان اسم بلدة القدس في عهد بني إسرائيل يروشلم ويقال أيضا أورشليم، وسميت من بعد المسيح إيلياء، ومن بعد الفتوح الإسلامية إلى هذا الوقت اسمها القدس، والأعاجم تسميها بيت المقدس، وأما عدة أميال الفصل بينها وبين طرابلس فلا أعلمها تحقيقا، نعم يعلم تقريبا نظرا على الطرق والمنازل، وتختلف الطرق. الطريق الأول من طرابلس إلى بيروت؛ فمن طرابلس إلى بيروت منزلين متوسطين (وقدر المنزل عندنا من الصباح إلى قريب العصر) ومن بيروت إلى صيدا منزل واحد، ومن صيدا إلى حيفا منزل واحد ومن حيفا إلى عكا منزل واحد، ومن عكا إلى سور منزل واحد. ويقال لبلاد الشام سورية نسبة إلى تلك البلدة في القديم ثم من سور إلى يافا منزل كبير، وهي على ساحل البحر، ومنها إلى القدس منزل صغير. والآن صنع الريل *(أي أنشئت سكة الحديد)* منها إلى القدس، ويصل القاصد من يافا إلى القدس في أقل من ساعة. فعدة المسافة من طرابلس إلى القدس تسعة أيام مع الراحة، وإليها طرق من طرابلس وأقربها طريق البحر، بحيث لو ركب الإنسان من طرابلس بالمركب الناري يصل إلى يافا بيوم وليلة ومنها إلى القدس ساعة في الريل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أدام الله وجودكم وحفظكم وأيدكم ونصركم على أعدائكم، آمين.

الآخرين أيضا، وسنضطر للزعم بأنها أيضا ربما مزيفة. على كل حال قد ثبت معنى آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ حصرا أنه ﷻ أماته. بعض المولويين المزعومين السفهاء يقولون صحيح أن آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هذه تعني الإماتة فقط لا غير، لكن ذلك الموت سيصيبه بعد النزول، وإلى الآن لم يصبه.

لكن المؤسف أن هؤلاء الأغبياء لا يفقهون أن هذا يفسد معنى الآية، لأن الآية تعني أن عيسى عليه السلام سيقول لله ﷻ: "إن أفراد أمتي فسدوا وضلوا بعد وفاتي؛ أي كانوا على الصراط المستقيم ما دمت حيًّا، وأن أمتي ضلت بعد وفاتي لا في حياتي".

لذا إن قلتم إن عيسى عليه السلام لم يمت حتى الآن فهذا يستلزم الإقرار أيضا أن أمته إلى الآن لم تضلّ، لأن الآية تفصح عن منطوقها بجلاء، أن أمته لن تضل ما لم يمت. وحقيقة كلمة الوفاة أو بتعبير آخر الموت واضحة جلية يعرفها العالم كله؛ وهي أننا حين نقول بحق أحد أنه مات أو توفي فإنما المراد حصرا أن ملك الموت قبض روحه وفصلها عن الجسم. فليقل المنصفون الآن ما الذي يمكن أن يشكل إثباتا أقوى لوفاة عيسى عليه السلام. وهل يمكن أن يكون في العالم قرارٌ أكثر منطقية من هذا الذي ورد في هذه الآية، وإن لم يكن نحْت معان أخرى لها مقابل لذلك بتحريف كلام الله ﷻ كاليهود بقلب نجس من الفسق والإلحاد فما يكون؟ فكان من مقتضى الإنصاف أن ينقض معارضونا

هذا الإثبات القطعي واليقيني إذا لم يريدوا التسليم به، لكنهم لم يفعلوا ذلك، وأثبتوا لنا بتأويلات ركيكة وبتركهم سبل الحق تماما أنه لا يعنيهم الصدقُ بتاتا.

لقد وصفوا إنكار حياة عيسى كفرا ولم يمعنوا النظر أن القرآن ونبيَّ آخر الزمان كلاهما متفقان على بيان وفاة عيسى واستخدما اللسان واللفظة نفسها. كما أقر بالوفاة إمامٌ جليل الشأن كمالك، وإمام الحديث مقبول الزمان كالإمام البخاري قد جمع آيتين مختلفتين في موضع لمجرد إثبات الوفاة، والمحدث ابن القيم أقر بوفاة المسيح في كتابه "مدارج السالكين"، وكذلك صرح العلامة الشيخ علي بن أحمد بوفاته في كتابه "السراج المنير"، وقد خلا علماء كبار من المعتزلة مقرين بوفاة المسيح. لكن معارضينا إلى الآن يقولون بأنه قد حصل إجماعٌ على حياة المسيح، فما أروعه من إجماع. رحم الله هؤلاء فقد تجاوزوا الحدود، فالأمور التي ثبتت من كلام الله والرسول قد وصفوها كفرا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

لا نريد أن نطيل الموضوع أكثر ولا نريد أن نؤكد أن كتيب المولوي رسل بابا "حياة المسيح" زاخر بالسخف وأمور لا أصل لها. لكن الأمر المهم جدا الذي من أجله ألَّفنا هذا الكتيب، هو أن المولوي المذكور قد تفوه في كتيبه- لإرضاء العامة فقط- بالكلمات المعدودة التالية: إن من يبطل أدلتنا على حياة المسيح فسوف نقدم له ألف

روبية. لقد تبينت أدلتُه، أن المولوي المذكور عبثا سوَّد بعض الصفحات وأماط عن نفسه اللثام، وسجل فيه أمورا سخيفة لا نستطيع أن نسميها باسم ثالث؛ فهي إما مجرد دعاوٍ واعتبارها أدلة لحمقٌ وبطلان، وإما هي تحريف القرآن الكريم على شاكلة اليهود لا أكثر، ويبدو أنه قد رسخ في قلبه هو أيضا أن كتابه فارغ، لذا فقد قال في نهاية الكتاب سترا على ذلك بأن فهْم كتيبه يتعذر على أحد ما لم يدرس منه درسا. فلماذا قال ذلك؟ إنما ليقينه بأن كتيبه خال تماما من الأدلة المقنعة وما هو إلا طبل أجوف، وأن العارفين سيعلمون بأنه ليس فيه شيء. لذا قال على شاكلة التعليق بالمحال بأن الأدلة التي أوردها فيه خفية لا يطَّلع عليها كل فلان وعلان، وإن لسانه وحده مفتاح لها. وأنه ما لم يقم أحد عنده لمدة ولم يدرس منه هذا الكتاب درسا على شاكلة التلامذة فلن يستفيد من هذه الأوراق المبعثرة. أيها المولوي صاحبَ الكلام الفارغ والبذّاء، إذا كانت أدلتك مقبورة وواقعة في الظلام بحيث لا تدل على نفسها في كتابك كبرهان حي، فما الداعي لتأليف مثل هذا الكتاب السخيف الباطل. فما دمت تعرف أن الأدلة واهية جدا وسخيفة وهي عديمة المعالم دون هرائك الشفهي، فتأليف هذا الكتاب بلا جدوى، بل إن تسميته بالأدلة هي أصلا في غير محلها، ومخجلة، وتندرج تحت باب الثرثرة والسخف.

صحيح أن هذا العالم مليء بأنواع الخداع والزيف، لكن من النادر

أن يسمع أحد بالزيف الذي قام به المولوي رسل بابا، إذ قد اشترط على من يريد أن يفهم الأدلة أن يتتلمذ على يديه ويدرس منه الكتاب درسا، حيث أيقن في قلبه أن أي ذكي ولبيب لن يقبل بأن يتتلمذ على يد جاهل وغبي، ليتعلم منه كتيبه الشيطاني درسا، أملا منه أن يطلع على الأدلة الكامنة في هذا الكتاب على حياة المسيح التي يستحيل أن يطلع عليه العالم بنفسه حتى لو قرأه ألف مرة بل عشرات الملايين من المرات، وإنما يمكن العثور عليها بواسطة المؤلف فقط وبإرشاده، وإلا فثمة يأس من الاطلاع عليها إلى يوم القيامة.

أيها القراء، هل سمعتم من قبل عن مثل هذا الكتاب الذي تبقى أدلتُه دفينة في بطن المؤلف حتى بعد ورودها فيه؟ من المؤسف أن في المشايخ المعاصرين توجد مكايد سخيفة من هذا القبيل، تتيح للمعارضين الفرصة للضحك والسخرية. وسبب ذلك أن الذين هم في الحقيقة علماء وأفاضل وأهل العلم ينضمون إلينا إعراضا عن هؤلاء السفهاء قصيري الفهم. أما المولويون المزعومون فلا يتقنون الكتابة بالأردية وهم غافلون عن القرآن الكريم والأحاديث، وإنما يعارضوننا لمجرد تقليدهم لآبائهم، وكأننا قتلنا أحد آبائهم. إن شغلهم الشاغل ليل نهار إطلاق الشتائم والاستهزاء والتكفير فقط. وكأنهم لن يموتوا أبدا، وأنهم لن يُسألوا لماذا كفَّروا المسلمين. فهم يحاربون الله ولا يكفُّون عن العناد. لكنه كان يجب أن تتحقق نبوءةُ النبي ﷺ التي قال فيها بأنه

عندما سيظهر المهدي المعهود أي ذلك المسيح الموعود فسوف يُفتي المولويون في عصره بكفره. ثم يقول النبي ﷺ إن أولئك المفتين سيكونون أسوأ من أشرار العالم كله، ولن يكون على وجه الأرض فاسقٌ مثلهم. وأنهم لن يُقبِلوا أبدا إلا بالنفاق. الأسف كل الأسف أن هؤلاءِ البسطاءِ لا يفقهون؛ فكيف يكون من يتكلم بحسب ما قال الله ورسولُه كافرا؟! وهل يمكن أن يقبل أحدهم أن آلاف الأكابر وأهل الله الذين مروا خلال اثني عشر قرنا أي إلى يومنا هذا قائلين بوفاة المسيح كلُّهم كانوا كفارا؟ وأن الإمام مالك الذي علَّم ذلك عشراتِ الملايين من أتباعه، أيضا كافر والعياذ بالله؟ وأن الإمام البخاري الذي أدرج في باب في صحيحه وفاة عيسى عليه السلام خاصة، أيضا كافر والعياذ بالله؟ وابن القيم الذي عدّه من الموتى كموسى عليه السلام أيضا كافر؟ وأن المسلمين الذين يعدُّون هؤلاءِ الصلحاءَ مسلمين هم أيضا كفار كلهم؟ وأن المعتزلة الذين مذهبهم أن عيسى عليه السلام قد توفي في الحقيقة هم أيضا كلهم كفار؟

ألن تموتوا يوما أيها المشايخ الأشقياء؟ إذ قد جعلتم العالم كله كافرا بالتكبر والدهاء، لقد قال الله سبحانه وتعالى مَن قال لكم "السلام عليكم" فلا تقولوا له لست مؤمنا، أي لا تحسبوه كافرا، بل هو مسلم. أما أنتم فقد كفَّرتم أولئك الذين هم شركاؤكم في المعتقدات الإيمانية كلها، فهم أهل قبلة وبريئون من الشرك، ويعُدون مدار النجاة اتِّباع رسول الله

ﷺ، ويعدون المُعرض عنه ﷺ لعينا وجهنميا ومن أهل النار. أيها المولويون الأشرار، سترون بعد الموت ما هي نتائج شر هذا التسرع، فهل شققتم صدري، وتأكدتم أن فيه كفرا ولا يوجد فيه إيمان، وأن الصدر مسودٌّ وليس منورا؟ فاصبروا قليلا، فالدنيا ليست طويلة.

إنكم تعدون بضعة من المولويين الفتانين الذين هم عار على الإسلام مسلمين وبقية العالم كله كافرا، الأسف كل الأسف كم قست قلوب هؤلاء، وكم من الحُجُب وقعت على قلوبهم. يا إلهي، ارحم هذه الأمة، وخلِّصهم من شر هؤلاء المولويين، واهدهم إذا كانوا جديرين بالهدى وإلا فارفعهم من الأرض، لئلا يتفشى الشر أكثر. فهؤلاء ليسوا في الحقيقة مولويين، ولذلك قلنا لقائدهم النشيط وإمام الفتن وأستاذهم **الشيخ محمد حسين البطالوي** موجِّها الخطاب إليه في كتابي "نور الحق"، أنه إذا كان له نصيب من العربية فليقدم نظيرا لهذا الكتاب، وليأخذ منا جائزة خمسة آلاف روبية. لكن الشيخ لم يتوجه إلى هذا الأمر، مع أن الشيخ المذكور بمنزلة الأستاذ لكل هؤلاء وبتحريكه يتحرك هؤلاء الموتى.

إنني أقول مرارا وتكرارا وبكل قوة إن الشيخ وجميع ذرياته هؤلاء جهلةٌ تماما وأغبياء وغير ملمين باللغة العربية. ولقد ألَّفنا تفسير سورة الفاتحة لاختبار هؤلاء فقط. أما كتيب نور الحق فصحيح أني كنت قد ألَّفته لاختبار مشيخة القساوسة، إلا أن بعض هؤلاء المعارضين- أي

الشيخ محمد حسين البطالوي وميان رسل بابا وغيرهما من الذين يقتفون أثره وهم مكفِّرون ومسيئون ووقحون- ليسوا خارج هذا الخطاب. إنما ثبت من الإلهام أن أيًّا من الكافرين والمكفرين لن يقدر على كتابة الرد على كتيب "نور الحق"، لأنهم كاذبون ومفترون وجاهلون وأغبياء.

إذا كانوا لا يعدّون إلهامي إلهاما ويعدّونه لخبث باطنهم من اختلاقي، أو يعدّونه وسوسة شيطانية، فليكتبوا الرد على كتيب "نور الحق" في الميعاد المحدد، وإن لم يستطيعوا فقد تحقق إلهامي. فالذين حققوا إلهامي بأنفسهم بإظهار جهلهم وعدم جدارتهم فهم قد سلَّموا بدعواي من جهة، وبعده لا يجدر بالسماع هراؤهم للمعارضة. إنني أدعو لهذه المواجهة جميع القساوسة **والشيخ محمد حسين البطالوي والمولوي رسل بابا الأمرتسري ورفاقه الآخرين كلهم. وقد أعطيناهم جميعا مهلة إلى نهاية يونيو/حزيران ١٨٩٤ لتقديم الطلب. أما نشر الكتيب مقابلنا فلهم مهلة ثلاثة أشهر من أجل ذلك من يوم تقديم الطلب.**

وإذا لم يقدموا الطلب إلى نهاية يونيو/حزيران ١٨٩٤ فلن يُسمع أيُّ طلب بعده، ويَثبت غباؤُهم للأبد، ويُسحب منهم لقب المولوية. لكن إذا تقدم أحدهم بطلب في شهر يونيو/حزيران ١٨٩٤ وأبدى استعداده على إعداد كتيب مقابلي فسوف تعدّ طلبات الجميع طلبا

واحدا فقط. وسوف تودع خمسة آلاف روبية فقط لا أكثر. والذين سيُعدّون فائزين في إعداد الكتيب بالمقابل سواء أكانوا مسيحيين أو من هؤلاء المولويين المزعومين المعارضين للحق، أو كلاهما، فسوف يقسمون مبلغ خمسة آلاف هذا فيما بينهم وسيكون من خيارهم أن يؤلفوا الكتيب مجتمعين، ولعل ذلك يسهل عليهم. إلا أنهم لن يروا سوى نتيجة: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ وسواد الوجه في الدارين. وإن لم نوْدع خمسة آلاف روبية في أحد البنوك خلال ثلاثة أسابيع بعد وصول طلبهم هذا الذي يجب أن تُثبت عليه شهادةُ عشرة زعماء مشهورين على الأقل، والذي يجب أن يرسَل إلينا بالبريد المسجل بعد نشره في أي جريدة؛ فسنُعدّ من الكاذبين وتعدّ دعوانا هذه كذبا. وذلك لأن الوعد باللسان بتقديم جائزة لا حقيقة له، إذ يمكن أن يُقبل عليه أي كاذب ذي نية فاسدة. فالصادق من يُثبت ما صدر من لسانه. وإلا فلعنة الله على الكاذبين. لكن إذا أودعنا المبلغ ثم هرب المنافقون من المواجهة فإن النفقات التي تترتب على نقضهم العهدَ هذا ستؤخذ منهم كلُّها مباشرة أو عن طريق المحكمة. كما يجب أن يكون في طلبهم إقرارٌ بأنهم لم يتمكنوا من كتابة الرد.

الآن نذكر جائزة المولوي رسل بابا بمبلغ ألف روبية. لقد سبق أن بيَّنا أن المولوي رسل بابا نشر كتيبه "حياة المسيح" بشرط ألف روبية، أي أن الذي سيفند أدلتَه سيعطى ألف روبية، لكن المولوي المذكور قد

بين في الكتيب نفسه أن الأدلة الواردة في هذا الكتيب بمنزلة أحجية أو لغز ولا يمكن لأحد أن يفهمها ما لم يقرأ هذا الكتيب منه درسا. لعل الألِبّاء أدركوا أيُّ خوف قد استصدر منه هذه الأمورَ، وأي فزع كان يكمن في قلبه فساقه إلى هذه التصرفات الثعلبية، فقد فطنّا فور سماع هذا الكلام إلى ما يقصده بإيراد الكلمات السرية للجنية، وأدركنا السبب المؤلم لضجاته والخوف الذي جعله يقول إن الأدلة في جوفه.

على كل حال نريد أن نفهِّمه من خلال هذا الكتيب أن عليه أن يودع ألف روبية إلى نهاية شهر يونيو سنة ١٨٩٤ عند الخواجه يوسف شاه المحترم والشيخ غلام حسن المحترم ومير محمود شاه المحترم؛ أي أن يودع عند الثلاثة باتفاق ويخبرنا بإقرارهم الخطي بأنهم استلموا ألف روبية، وأنهم سيسلِّمون هذا المبلغ لمرزا **غلام أحمد**- أي راقم هذا الكتيب- في حال تحقق غلبته فورا ودون إبطاء. ولن تكون أي علاقة لرسل بابا بهذا المبلغ. ولقد احتجت إلى هذا الإقرار الخطي لكي نطمئن تماما ونتأكد بأن المبلغ قد وصل إلى الحكام لكي نشتغل في استئصال كتيب المولوي رسل بابا، ونستعد لحسم الموضوع، على أن يتقرر الحَكم **الشيخ محمد حسين البطّالوي** أو مولوي معارض سامٌّ آخر مثله. ولإصدار الحُكم واتخاذ القرار سيكفي أن يحلف الشيخ البطالوي في اجتماع عام بعد قراءة كتيب المولوي رسل بابا وكذلك كتيبنا من أوله إلى آخره، ويكون موضوع الحلف: أيها الحضور، والله

لقد قرأتُ كلا الكتيبين من أولهما إلى آخرهما وأقول مقسما بالله إن كتيب المولوي رسل بابا في الحقيقة يُثبت يقينا وقطعا حياةَ عيسى عليه السلام، أما الكتيب الذي صدر للخصم فردودُه لم تستأصل أدلته. وإذا كذبتُ في هذا الأمر أو كان في قلبي أمر معارض، فأنا أدعو الله أن يصيبني جذامٌ خلال سنة واحدة أو أفقد البصر، أو أموت بعذاب بئيس آخر، فقط. وبعد أن يؤمِّن الحضور ثلاث مرات بصوت عال، آمين آمين آمين، ينتهي الاجتماع.

وبعد ذلك إذا سلِم ذلك الحالف من كل هذه الآفات لمدة سنة فسوف تعيد اللجنة المحددة ألف روبية للمولوي رسل بابا باحترام، وعندها سنعلن نحن أيضا إقرارا بأن المولوي رسل بابا قد أثبت حياة المسيح عليه السلام في الحقيقة. إلا أن مبلغ ألف روبية سيبقى مودعًا عند اللجنة لمدة سنة واحدة. وإن لم يوْدع المولوي رسل بابا ألف روبية خلال أسبوعين بعد صدور هذا الإعلان، فسوف يتبين كذبُه وزورُه، وعندها سيكون واجبا على كل واحد أن يستعيذ من شر هؤلاء الكذبة المزورين ويجتنبهم. فليكن واضحًا أنه قد أصابنا من هذه الفئة المعارضة أذًى بشكل عام، وليس من احتقار أو إساءة أو مسبَّة وشتيمة لم تصدر من قِبلهم ضدنا. فحين لم يستطيعوا إلحاق أي ضرر بنا بالتكفير والسباب توجَّهوا إلى الدعاء علينا، وبدأوا يدْعون عليَّ ليلَ نهارَ. لكن متى كانت أدعية هؤلاء العنيدين ذوي القلوب السوداء

ظلما لتُقبل عند الذي هو خبير بأسرار القلوب. وأخيرا حين لم يستفيدوا من الأدعية أيضا، توجَّهوا يأسا من الله إلى الحكومة الإنجليزية ووشَوا بي عندها، وألَّفوا الكتب بافتراء، وزعموا أن هناك خطر الفتنة من وجودي ويُخشى الجهاد. لكن هذه الحكومة العاقلة والمتفرّسة ومدركة الحقائق ما كانت لتنطلي عليها مكايدُ الحساد هؤلاء. فالحكومة تعرف جيدا أن هذه هي معتقدات هؤلاء، وأن هؤلاء هم الذين ظلوا يقولون على مدى مئات السنين إن الإسلام يجب أن يُنشر بالجهاد، وليس ذلك فحسب بل يقولون أيضا إنه عندما سيظهر مهديُّهم المزعوم أو يخرج من غار، ففي الزمن نفسه سينزل من السماء عيساهم المزعوم أيضا وسيُحضر معه حربة حادة من السماء لقتل الكفار، وكلاهما معا سيقتلون جميع الكفار في العالم، والذي أنكر الإسلام سيُقتل سواء أكان من اليهود أو النصارى. فهذه هي معتقداتهم الراسخة، وإذا كان أحد يشكُّ في ذلك فليَسأل أي مولوي في المحكمة حلفا. لكي يتضح على المحكمة هل هذه هي معتقدات هؤلاء في الحقيقة أم أننا أخطأنا في البيان.

لكننا نخبر الحكومة بصوت عال أن نشر دين الإسلام بالحرب والجهاد العدواني في هذا العصر ليس من معتقداتنا. كما أننا لا نعتقد بأن نقاتل كالمتمردين الحكومةَ التي نعيش في ظلها ونستفيد من الأمن والسلام والعافية بكنف حمايتها، ونتمكن في حمايتها من

نشر ديننا بكل سرور. ألا نعيش في ظل هذه الحكومة الإنجليزية بأمن وعافية؟ ألا نستطيع نشر ديننا بحسب رغبتنا، هل مُنعنا من العمل بالأحكام الدينية؟ كلا. بل الحق تماما أن ما نستطيعه في هذا البلد من إلقاء الوعظ الإسلامي والنصائحِ في الأسواق والأزقة والشوارع، ببذل المساعي والجهود بسلام وحرية ونقدر على إيصال الحق إلى كل أمة، لا نستطيع إنجاز كل هذه الخدمات في مكة المعظمة نفسها، دع عنك مكانا آخر. فهل يجب علينا الشكر على هذه النعمة أم نبدأ بنشر الفتنة والتمرد.

وصحيح أننا نرى هذه الحكومة على خطأ كبير في الدين، ونراها متشبثة بعقيدة مخجلة، إلا أننا نرى أنه من الذنب الشنيع ومن الخبث أن نفكر في التمرد على مثل هذه الحكومة المحسنة. صحيح أننا من ناحية الدين نرى هؤلاء القوم على خطأ صريح ومبتلَين بمعتقد من صنْع البشر. وفي هذه الحالة نريد إصلاح ذلك بالدعاء والاعتناء بهم، ونسأل الله أن يفتح عيون هؤلاء القوم، وينور قلوبهم ويكشف عليهم أن عبادة إنسان من البشر ظلم عظيم. من هو المسيح عليه السلام؟ إنما هو إنسان ضعيف، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى لخَلَق في لحظة واحدة عشرات الملايين مثله بل أفضل منه آلاف المرات، فهو على كل شيء قدير، وهو يفعل ما يشاء. فتنوير كفة من التراب هين عليه جدا. فالذي

يأتيه بقلب سليم وحب كامل فمن المؤكد أنه سيُدخله في عباده الخواصّ، فهل لمدارج القرب التي يمكن أن يرتقي إليها الإنسان أي نهاية؟ كلا. يا عبَدة الموتى إن الإله الحي موجود؛ إذا بحثتم عنه وجدتموه، وإذا مشيتم إليه بقدم صدق فسوف تصلون إليه حتما. فمِن عمل العنّينين والخناثى أن يعبدوا إنسانا مثلهم. إذا كنتم تعدون أحدا قد بلغ الكمال فاسعوا لتكونوا مثله، لا أن تعبدوه. إلا أن الإنسان الذي أبدى بذاته وصفاته وأفعاله وأعماله وبقواه الروحانية المقدسة- المتدفقة كالنهر- نموذجَ الكمال التام علما وعملا وصدقا وثباتا وسمي إنسانا كاملا هو ليس والله المسيح ابن مريم، إنما المسيح كان نبيا عاديا، وصحيح أنه كان واحدا من قِبل عشرات الملايين من المقربين، إلا أنه كان من هذه الفئة العادية وكان بسيطا ليس أكثر. ويمكن أن تتأكدوا من ذلك بقراءة الإنجيل حيث ورد أنه كان من مريدي النبي يحيى وتعمد على يديه كالتلامذة.

فكان قد جاء لأمة معينة، والأسف كل الأسف أن العالم لم يستفد منه أي فائدة روحانيا، فقد ترك في العالم نموذج نبوة ثبت أن ضررها أكثر من نفعها، وبمجيئه تزايد الابتلاء والفتنة. ونالت فئة كبيرة من العالم نصيبا من الهلاك، ولا شك أنه كان نبيا صادقا وكان من مقربي الله سبحانه وتعالى. أما الذي كان أكمل إنسان وأكمل نبيّ، وجاء ببركات كاملة، فظهرت القيامة الأولى في الدنيا بسبب البعث والحشر

الروحانيِّين، وببعثته عاد العالم الميت بأسره إلى الحياة، فهو النبي المبارك **سيدنا خاتم الأنبياء، إمام الأصفياء، ختم المرسَلين فخر النبيين جناب محمد المصطفى ﷺ**. فيا ربنا الحبيب أنزل على هذا النبي الحبيب رحمة وبركة لم تُنزلهما على أحد منذ بدء الخليقة. فلو لم يأت هذا النبي العظيم في الدنيا لما كان عندنا دليل على صدق بقية الأنبياء الصغار الذين جاؤوا إلى الدنيا مثل يونس وأيوب والمسيح ابن مريم وملاخي ويحيى وزكريا وغيرهم وإن كانوا كلُّهم مقرّبين ووجهاء وأحباء الله. فمن منّة هذا النبي أنهم عُدُّوا صادقين في الدنيا. **اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وآله وأصحابه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**[1]

[1] تنتهي هنا ترجمة النص الأردي الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

الوَصِيَّةُ للهِ لِقَوْمٍ لا يَعْلَمُوْنَ

أيها العلماء والمشايخ والفقهاء.. إني رأيت تَعاميَكم في مصنّفاتكم، فتأجج قلبي لجهلاتكم. إنكم تسيرون في المِعامي، ولا تخافون جَوْبَ الحوامي◈. وإني عِفْتُ أن أفصّل حالاتكم، وأبيّن مقالاتكم. أتعاميتم مع سلامة البصر، وتجاهلتم مع العلم والخبر؟ كان عندكم العقل والفهم الصافي، ولكن النفس صارت ثالثة الأثافي. إن حبّ العَين سلَب عينَيكم، والطمع في كرم الناس محَق كريمتَيكم. أَقَرَأْتم العلومَ للقِرى، وتعلّمتم لرُغفان القُرى؟ وباعدتم عن الإخلاص الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء. تركتم الشريعة واتّبعتم النفس الدنيّة، وصرتم قوما خاسرين. أكلتم الدنيا بأنواع الدقاقير*، وما نجا مِن فخّكم أحدٌ من القبيل والدبير. طورًا تلدغون في حلل العِظات، وأخرى بالكَلِم المحفِظات. وأَجِدُ فيكم ما يَسِمُ بالإخلاق، وما أجد شيئا من محاسن الأخلاق. فإنّا لله على مصيبة الإسلام، وإمحالِ رياض خير الأنام. وإنّا نكتب قصّتكم متجرّعًا بالغصص، ومتورّعا من مبالغات القِصص.

◈ *يبدو أنه سهو الناسخ وربما هو "الموامي" كما ورد كثيرا في كتب حضرته عليه السلام. (الناشر)*

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "الدقارير". (الناشر)*

إنكم جعلتم الإسلام مَصْطَبة المقيّفين، أو خانَ المدروزين والمِشَقْشِقين. اتقوا الله ويوم الأهوال، وحلولَ الآفات وتغيُّرَ الأحوال، واذكروا الحِمام ومساورة الإعلال، وفضوح الآخرة وسوء المآل. واتركوا الكِبر والعُجب والخيلاء، فإنها لا يزيدكم* إلا الغطاء. ولا تصحّ صفة العبودية إلا بعد ذوبان جذبات الحيّة، أعني هوى النفس الذي هو على بحر السلوك كزبدٍ، فلا تُطيعوا الزبد كعبد، واطلبوا بحر ماء معين.

واعلم يا طالِبَ الحقّ الأهمّ، أن علماء السوء ما يخرجون من الفم هو أضرّ على الناس من السمّ، ومِن كل بلاء يوجد على وجه الأرضين، فإن السموم إذا أضرّت فلا تضرّ إلا الأجسام، وأما كلامهم فيضرّ الأرواح ويُهلك العوام، بل ضررهم أشد وأكثر من إبليس اللعين. يلبسون الحق بالباطل، ويسلّون سيوف المكر كالقاتل، ويُصرّون على كلمات خرجت من أفواههم وإن كانوا على خطأ مبين. فاستعِذْ بالله منهم ومن كلماتهم، واجتنِبْهم وجهلاتهم، وكن مع العلماء الصادقين. ولا تضحك على مواجيد الأولياء، والأسرار التي كُشفت على تلك الأصفياء، فإنهم مظاهر نور الله وينابيع ربّ العالمين. واعلم أنهم قوم صادقون في الأحوال، والمحفوظون في الأفعال والأعمال، ويُعلَّمون من أشياء لا يعلمها عقل العلماء، ويُعطَون من علم لا يُعطَى مثله أحدٌ من العقلاء. فلا يُنكرهم إلا الذي فيه بقيّة من مسّ الشيطان، وأثرٌ من

* *يبدو أنه سهو والصحيح: "تزيدكم". (الناشر)*

آثار الجانّ، ولا يكفّرهم إلا الأعمى الذي ليس همّه إلا تكفير الصالحين.

ألا إن لله عبادًا يحبّهم ويحبّونه، آثرَهم وملأ قلوبهم مِن حبّه وحبّ مرضاته، فنسوا أنفسهم استغراقا في محبّة ذاته وصفاته، فلا تُعلِّق همّتك بإيذاء قومٍ لا تعرفهم ومنازلهم، وإنّك لا تنظر إليهم إلا كعمين. إنهم خرجوا مِن خلقٍ كان مشابِهَ خلقِ وجودِك، وسعوا إلى مقام أعلى وتباعدوا عن حدودك، ووصلوا مكانا لا تصل إليها أنظارك، ولا تدركها أفكارك، ونزلوا بمنزلة لا يعلمها إلا رب العالمين. فلا تدخل في أقوالهم كمجترئين، ولا تتحرك بسوء الظنون وقلة الأدب معهم كالمعتدين، فيعاديك ربك وتلحق بالخاسرين. فإيّاك يا أخي أن تقع في ورطة الإنكار، وتلحق بالأشرار، وتهلك مع الهالكين.

واعلم أن كتاب الله الرحمن، كسبعةِ أبحرٍ من أنواع نكات العرفان، يشرب منها كل طير بوسع منقاره، ويختار حقيرًا ولا يشرب إلا قدرا يسيرا. والذين وسَّع مَداركَهم عناياتُ ربهم، فيشربون ماء كثيرا وهم أولياء الرحمن وأحبّاء أحسن الخالقين. يهُبُّ على قلوبهم نفحاتٌ إلهية، فيتعالى كلامهم، فيجهله عقول الذين ليسوا من العارفين. والذين يُعطَون أفعالا خارقة للعادة، وأعمالا متعالية عن طور العقل والفكر والإرادة، فلا تعجب من أن يُعطوا كلماتٍ، ورُزقوا من نكات تعجز العلماء عن فهمها، فلا تنهَضْ كالمستعجلين.

وإن كنت من الذين أراد الله بهم خيرًا، فبادِرْ وسِرْ إليهم سيرًا، ودَعْ زورًا وضيرًا، وكن من الحازمين. وكم من كلمات نادرات بل محفظات، تخرج من أفواه أهل الله إلهامًا من الله الذي هو مؤيّد الملهَمين، فينهضون لله ويُبلّغونها ويُشيعونها، فتكون سببَ مرضاة الله كهفِ المأمورين. ثم تلك الكلمات بعينها بغير تغيير وتبديل تخرُج مِن فمٍ آخر، فيصير قائلها من الذين تركوا الأدب واجترءوا وصاروا من الفاسقين. فتأدَّبْ مع أهل الله ولا تعجَلْ عليهم ببعض كلماتهم. وإن لهم نيّاتٍ لا تعرفها، وإنهم لا ينطقون إلا بإشارة ربّهم، فلا تُهلك نفسك كالمجترئين. لهم شأن لا يفهمه إنسان، فكيف مِثلك فتّان، إلا مَن سلك مسلكهم، وذاق مذاقهم، ودخل في سِككهم، فلا تنظرْ إلى وجوه مشايخ الإسلام وكبراء الزمان، فإنهم وجوه خالية من نور الرحمن، ومِن زيّ العاشقين. ولا تحسب كلمات المحدَّثين المكلَّمين ككلماتك أو كلمات أمثالك من المتعسّفين. فإنها خرجت من أنفاس طيّبة، ونفوس مطهَّرة مُلهَمة، وهي قريب العهد من الله تعالى كثمرٍ غضٍّ طريٍّ أُخذ الآن من شجرة مباركة للآكلين. والقوم لما لم يفهموا كلمات لطيفة دقيقة حِكَميّة إلهيّة، فعزَوا أهلها إلى الفُسّاق والزنادقة والكفّار وأهل الأهواء. فيا حسرة عليهم وعلى تلك الآراء، إنهم قد هلكوا إن لم يتوبوا ولم يرجعوا منتهين. والأحرار ينتقلون من القالب إلى القلب، وهم انتقلوا من القلب إلى القالب، ونبذوا كل ما علموا وراء ظهورهم للبخل

الغالب، فأصبحوا كقِشرٍ لا لُبَّ فيه وأكلوا الجيفة كالثعالب، وكفّروني ولعنوني من غير علم ليستروا الأمر على الطالب، وقالوا كافر كذّاب، واتبعوا دأب الذين خلوا من قبلهم من أهل التباب. وكانوا يقولون من قبل إنّ رجلا لا يخرج من الإيمان باختلافات ليس فيها إنكار تعليم القرآن، وإنما الحُكم بالتكفير لمن صرّح بالكفر واختاره دينا، وأنكر دين الله القدير وجحد بالشهادتين كالأعداء اللئام، وخرج عن دين الإسلام، وصار من المرتدّين. وقالوا لو رأينا في هذا الرجل خيرا أو رائحةً من الدين ما كفّرنا وما كذّبنا وما تصدّينا للتوهين. كلا، بل قسَتْ قلوبهم من الإصرار على الإنكار، ودعاوى الرياء وفتاوى الاستكبار، فطبع عليها طابع وما وُفِّقوا أن يرجعوا مع الراجعين. ولو شاء الله لأصلح بالهم وطهّر مقالهم، وجذبهم وأراهم ضلالهم، ولكنهم زاغوا وأحبّوا عيوبهم، فغضب الله عليهم وأزاغ قلوبهم، وتركهم في ظلمات، وجعلهم كصُمٍّ وعمين.

أيها العَجول، اتق الله وخَفْ أولياء الله الودود، ولا خَوْفَك من الأسود، وإذا رأيتَ رجلا تبتّلَ إلى الله، وما بقي له شيء يشغله عن ربّه، فلا تتكلم فيه ولا تتجرّأ على سبّه، أتحارب الله يا مسكين، أو تقتل نفسك كالمجانين؟ واعلم أن أولياء الرحمن يُطرَدون ويُلعنَون ويُكفَّرون في أوائل الزمان، ويقال فيهم كل كلمة شرّ، ويسمعون من قولهم كل الهذيان، ويسمعون أذًى كثيرا من قومهم ومن أهل العدوان،

ويسمّونهم أجهلَ الناس وأضلّ الناس، مع كونهم من أهل العارفة والعرفان، ويسمّونهم دجّالين وعَبَدة الشيطان؛ ثم يجعل الله الكرّةَ لهم، ويُؤيَّدون ويُنصَرون ويُبرَّأون مما يقولون، ويأتيهم الدولةُ والنصرة من عند الله في آخر أمرهم من الله المنّان، وكذلك جرت عادة الله الديّان، أنه يجعل العاقبة للمتّقين.

وإذا جاء نصره فترى قلوب الناس كأنها خُلقت خلقًا جديدا، وبُدِّلت تبديلا شديدا، وترى الأرض مخضرّة بعد موتها، والعقول سليمة بعد سخافتها، والأذهان صافية والصدور مطهّرة بإذن قادرٍ قيّومٍ ومُعين. فيسعون إليهم بالمحبّة والوداد، نادمين من أيام العناد، ويُثنون عليهم باكين قائلين إنّا تُبنا فاغفر لنا ربنا إنّا كنّا خاطئين، ومن يرحم إلا هو وهو أرحم الراحمين. هذا مآل الذين سُعدوا وفُتحت أعينهم وجُذبوا، وأمّا الذين شقوا فلا يرون حتى يُرَدّون إلى عذاب مهين.

رب أَرِنا أيامَك، وصدِّقْ كلامك، وفرِّجْ كرباتِنا، واغفِرْ زلاّتِنا، وارْضَ عنّا وتعال على ميقاتنا، وانصرنا على القوم الكافرين. وصلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على رسولك خاتم النبيين. آمين ربنا آمين.